لا... يحبه الإنسان ينقسم ثلثة أقسام ١ ما هو ضروري في حق الكافة وهو القوت والملبس
والمسكن وصحة بدنه فمن قصد بدنه بضرب أو جرح لابد أن يغضب وكذلك لو سرق ثوبه الذي يستر عورته
أو أخرج من داره التي هي مسكنه فهذه ضرورات لا يخلو الإنسان عن كراهة زوالها وعن غيظ على من
يتعرض لها القسم ٢ ما ليس ضروريا لأحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب فإن هذه
أمور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الأمور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في أنفسهما فيكنزان
ويغضب على من يسرقهما وإن كان مستغنيا عنهما في القوت وهذا الجنس مما يتصور أن ينفك الإنسان
عن أصل الغيظ عليه فإذا كان له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز أن لا يغضب إذ يجوز أن يكون
بصيرا بأمر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب بأخذها فإنه لا يحب وجودها ولو أحب وجودها
لغضب بالضرورة على أخذها وأكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت والتصدر
في المجالس والمباهاة بالعلم فمن غلب هذا الحب عليه فهو لا محالة يغضب إذا زاحمه مزاحم على التصدر
في المحافل وإن لم يحب ذلك وجلس في صف النعال لم يغضب إذا جلس غيره فوقه وهذه العادات
الردية هي التي أكثرت محاب الناس ومكارهه فأكثرت غضبه وكلما كانت الإرادات والشهوات
أكثر كان صاحبها أحط رتبة وأنقص لأن الحاجة صفة نقص فمهما كثرت كثر النقص والجاهل أبدا
جهده أن يزيد في شهواته وهو لا يدري أنه مستكثر من أسباب الغم والحزن حتى ينتهي بعض الجهال
بالعادة الردية ومخالطة قرناء السوء إلى أنه يغضب لو قيل له أنه لا يحسن اللعب بالحمام واللعب بالشطرنج
ولا يقدر على شرب الخمر الكثير ونحوها من الرذائل فالغضب من هذا الجنس ليس بضروري لأن حبه
ليس بضروري ٣ ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون بعض كالكتاب مثلا للعالم فإنه مضطر الثالث
إليه فيحبه فيغضب على من يحرقه أو يغرقه وكذلك أدوات الصناعات في حق المكتسب الذي لا يمكنه
التوصل إلى القوت إلا بها فإنما هي وسيلة إلى الضروري والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف
بالأشخاص وإنما الحب الضروري ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من أصبح آمنا في سربه معافى
في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرا بحقائق الأمور وسلمت
له هذه الثلاث فيتصور أن لا يغضب في غيرها فهذه ثلثة أقسام فلنذكر غاية الرياضة فيه
لينعدم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على أن لا يطيعه الغضب ولا يستعمله في الظاهر إلا على حد

حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والا... حتى يصير
والاحتمال خلقا راسخا فأما قمع أصل الغيظ من القلب فذلك مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر
سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه إلى أن لا يظهر أثره في الوجه ولكن
ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث أيضا لأن ما صار ضروريا في حق شخص فلا يمنعه من الغيظ
١٤ استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر
عليه وأما القسم الثاني فيمكن التوصل بالرياضة إلى الانفكاك عن الغضب عليه إذ يمكن إخراج
حبه من القلب وذلك بأن يعلم الإنسان أن وطنه القبر ومستقره الآخرة وأن الدنيا معبر يعبر
عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك فهو وبال عليه في وطنه ومستقره فيزهد في
الدنيا ويمحو حبها عن القلب ولو كان للإنسان كلب لا يحبه لم يغضب إذا ضربه غيره فالغضب
تبع الحب فالرياضة في هذا قد تنتهي إلى قمع أصل الغضب وهو نادر جدا وقد تنتهي إلى
المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو أهون فإن قلت الضروري من القسم الأول
التألم بفوات المحتاج إليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهي قوته فماتت لم يغضب على
أحد وإن كان يحصل معه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فالإنسان يتألم بالفصد
ولا يغضب على الفاصد فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الأشياء كلها بيد الله لم يغضب على أحد
من خلق الله إذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب عنقه
لم يغضب على القلم فلا يغضب على من ذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها إذ
يرى الموت والذبح من الله فيندفع الغضب بقوة التوحيد وبحسن الظن بالله تعالى وذلك
أن يرى أن الكل من الله وأن الله لا يقدر إلا ما فيه الخيرة وربما تكون الخيرة في مرضه وجوعه
وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفاصد لأنه يرى أن الخيرة في الفصاد فنقول هذا على هذا
الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد إلى هذا الحد إنما تكون كالبرق الخاطف تغلب في أحوال
مختطفة ولا تدوم ويرجع القلب إلى الالتفات إلى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو
تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه
حتى قال اللهم إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأيما مسلم سببته أو لعنته أو ضربته فاجعلها

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)